

إِعْلَامُ الْأَنَامِ بِمُعْجَزَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

(Telling People about Prophet Mosa's- Peace be upon him-Miracles)

ياسر أحمد سالم ربابعة¹ عبد الرزاق محمد مصطفى ربابعة²¹جامعة البلقاء التطبيقية / كلية عجلون الجامعية قسم العلوم الأساسية (الأردن)

rababah.yaseer@yahoo.com

²جامعة عجلون الوطنية/الشرعية والقانون (الأردن)

تاريخ النشر: سبتمبر/2021

تاريخ القبول: 2021/04/04

تاريخ الإرسال: 2020/ 02/03

ملخص

تتناول هذه الدراسة مجموعة الآيات التسع التي وردت في القرآن الكريم، والتي تعود إلى موضوع النبوات في العقيدة الإسلامية وهو الموضوع الثاني من موضوعات العقيدة بعد الإلهيات والسمعيات، وتتعلق هذه الدراسة بمعجزات موسى عليه السلام وأهميتها، وبيان آراء العلماء في كل من هذه المعجزات والتي نجدها قد ذكرها الحق سبحانه دليل صدق لرسوله موسى-عليه السلام - إلى بني إسرائيل. وتعتمد هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على تتبع المعجزات وما رافقها، ثم تحليلها وتحليل آراء العلماء فيها، وذكرت فرعون وقومه، إذ أن المعجزات كانت موجهة ابتداء وبشكل أساسي لفرعون وقومه من أجل أن يؤمن بالله ويخرج بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وتتعلق الدراسة من فرضية مفادها أن لموسى عليه السلام تسع آيات ذكرها القرآن الكريم تكشف عنها الآيات المتعلقة بها، ويحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية: لماذا ذكر القرآن الكريم هذه المعجزات وما هو تصنيفها بحسب موضوعات علم العقيدة وأصول الدين؟ كيف تعامل العلماء مع المعجزات المتعلقة ببني إسرائيل؟ ومن أهم نتائج الدراسة تسليط الضوء على دراسة معجزات موسى -عليه السلام- والحكمة من تعدد المعجزات لهم، وموقفهم منها، ومن ثم بيان ما على المسلم القيام به تجاه ما هو من عند الله، وكيف كانت عاقبة مخالفة، وإنكار الوحي الإلهي لاسيما المتعلقة بما بموسى عليه السلام وإفهام مضامينها للمسلم المعاصر، حتى ينتبه إلى أهمية هذه المعجزات وأنها تصديق لرسول الله وصلتها الوثيقة بالعقيدة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: المعجزة - موسى (عليه السلام)- فرعون - بنو إسرائيل .

Abstract

This study is talking about the nine miracles of Mosa's - peace be upon him, that are related to the prophecies in Islamic doctrine which is the second theme in the Islamic doctrine.

This study is concerning of the importance of Mosa's - peace be upon him- miracles and explaining the scientists opinions in these miracles that Allah mentioned in the Holly Quran as an evidence of the Honesty of him with Israelis.

This study is depending on the analytical inductive approach that follows the miracles and analyzing them, after that, showing the scientists point of views in them. Also in this study I will clarify the Pharaoh's attitude towards Mosa -peace be upon him-. This study is starting from the hypothesis which says that Mosa -peace be upon him- had nine miracles all of them were mentioned in the Holly Quran.

In addition the study will discuss and answer these questions:

?Why these miracles were mentioned in the Holly Quran
 What is classification of these miracles in the Islamic doctrine?
 How did scientists deal with the miracles that regards to Israelis?
 What is the wisest of variety in Mosa's miracles?

At the end the study will focus on the role of Muslims towards these miracles and what is the aftereffect of unbelieving these miracles.

Key words: al-balqa applied university - ajloun university college - islamic studies.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله المصطفى وعلى من سار على دربه و لأثره اقتفى .

فمعجزات الأنبياء بعثها الله لمن اختصه من عباده المختارين عليهم الصلاة والسلام ؛ وأيدهم بها لكشف الغمة وإثبات صدقهم فيما جاؤوا به مبلغين عن ربهم سبحانه وتعالى؛ لهداية الناس وإخراجهم من ظلمات النفس وهواها وجهلها وطغيانها، إلى نور الحق وإتباع الهدى وعبادة الله وحده فيما أرسل وهدى . وجاءت الرسالات من حيث خصوصيتها واستمرارها منقسمة إلى خاصة بقوم دون غيرهم، وأخرى عامة للناس رحمة بهم ، ومنها ما قد جاء لزمان محدد ومنها ما كان لكل زمان صالحا ومصلحا، ومنها ما ينتهي بموت الرسول ومنها ما يستمر حتى بعد موت حاملها عليهم الصلاة والسلام جميعا .

ومن بين الرسل موسى عليه السلام الذي اختصه الله سبحانه وتعالى برسالة سماوية، كما اختص عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: **أَأُذَكِّرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** ﴿٥١﴾ مريم: ٥١.

سبب اختيار البحث

- التسهيل على الباحثين، والقراء الرجوع إلى معجزات موسى عليه السلام والتي ذكرها في كتاب الله بشكل تفصيلي وموسّع، وذلك من خلال الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام علماء الأمة الفضلاء.
- التعرف على حقيقة فرعون وقومه، وموقفهم من معجزات موسى عليه السلام ودعوته.
- التعرف على حقيقة بني إسرائيل، وموقفهم من معجزات موسى عليه السلام ودعوته.

أهداف الدراسة

- إظهار معجزات موسى -عليه السلام- كما وردت في كتاب الله تعالى ، وتحليلها، وبيان موقف فرعون وبني إسرائيل منها.
- بيان أن الطغيان والتجبر والاستكبار نهايته الهلاك.
- بيان أن الاعتصام بالله هو سبيل النجاة.

الدراسات السابقة

لقد تم الاطلاع على مجموعة من الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع والتي تدور في فلكه

وهي كالاتي:

١- رسالة ماجستير بعنوان: (معجزات موسى عليه السلام في القرآن والتوراة) - عرض ونقد، إعداد بلسم صلاح الدين عمر أبو زيد اشراف الاستاذ الدكتور محمد يوسف محمد الشوبكي، قدمت هذا لدراسة للحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية غزة، 2015 ميلادي.
ما يتميز به البحث عن الدراسات السابقة :

أولاً: أن البحث ذكر المعجزات مفصلة كما وردت في القرآن الكريم وكتب التفسير وكتب علماء العقيدة، أما هذه الرسالة فكانت تعتمد في أغلب الأحيان على نص التوراة في تفصيل المعجزات، ثم تقارن نص التوراة مع نص القرآن الكريم .

ثانياً: أن هذا البحث كان مركزاً على المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم، في حين أن الرسالة بحثت أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف في معجزات موسى -عليه السلام- الأمر الذي جعل الباحثة تسقط بعضاً من المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم ولم تذكرها في الرسالة.

ثانياً: في هذا البحث اعتمد الباحثان ذكر المعجزات مرتبة حسب وقوعها؛ لأن هناك رابطاً زمنياً بين كل معجزة مع التي تليها، أما الرسالة فلم تهتم بذلك، وهذا البحث اهتم بتعريف كل معجزة وسبب وقوعها ثم التعقيب بذكر مظاهر كل معجزة والدروس والعبر المستفادة منها، وأما الرسالة فلم تذكر شيئاً من هذا القبيل.

٢- خوارق العادات في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إعداد عبد الرحمن إبراهيم عبد العزيز الحميضي، إشراف الدكتور محمد عبد المنعم، جامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة بمكة المكرمة ١٤٠٠ هـ .

٣- الدعوة والعقيدة في قصة موسى عليه السلام، رسالة ماجستير، إعداد سليمان طلق عبد الله الحازمي، إشراف الدكتور عبد الشكور محمد أمان العروسي، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية المملكة العربية السعودية ١٤٠٩ هـ.

ما تميز به البحث عن الدراستين السابقتين :

أولاً: الباحثان بحثا المعجزات بحثاً مفصلاً من مصادرها الرئيسية في الإسلام، بالاعتماد على نصوص القرآن الكريم وكلام علماء التفسير وعلماء العقيدة، مع الاهتمام بذكر المعجزات مرتبة حسب وقوعها التاريخي، مع التركيز على بيان سبب المعجزات والتعقيب بذكر أهم مظاهر كل معجزة والدروس المستفادة منها، وهذا ما لا نجده في الدراسات السابقة.

ثانياً: يتميز هذا البحث أيضاً أنه اختص بذكر معجزات موسى عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم، ليسهل على الباحثين الرجوع إليها والاستفادة منها. وأما في الدراسات السابقة نجدها مبحوثة مع مواضيع أخرى الأمر الذي يصعب معه رجوع الباحثين إليها.

خطة البحث

المبحث الأول : معجزة انقلاب العصا حية والتهامها حبال سحرة فرعون .

المبحث الثاني : معجزة إدخال يده عليه السلام في جيبه ثم إخراجها بيضاء من غير سوء.

المبحث الثالث : معجزة الرجز، وفيها سبعة مطالب، هي :

المطلب الأول : رجز السنين .

المطلب الثاني : رجز الطوفان .

المطلب الثالث : رجز القمل .

المطلب الرابع : رجز الضفادع .

المطلب الخامس : رجز الدم .

المطلب السادس : رجز الجراد .

المطلب السابع : رجز نقص الثمرات .

المبحث الرابع : معجزة فلق البحر ونجاة موسى عليه السلام ومن معه .

المبحث الخامس : معجزة بعث جماعة من بني إسرائيل إلى الحياة بعد موتهم بالصاعقة.

المبحث السادس : معجزة رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل كي يعطوا الميثاق على ما في الألواح.

المبحث السابع: معجزة الإنعام على بني إسرائيل بطريق تخالف ما جرت عليه العادة تأييدا لموسى عليه السلام.

المبحث الثامن : معجزة انفجار الحجر باثنتي عشرة عينا بعد ضربه بعصاه .

المبحث التاسع : معجزة إحياء قتيل بني إسرائيل من خلال ضربه ببعض البقرة التي أمرهم بذبحها لتخبر عن قاتله ، ولتكون دليلا على البعث بعد الموت .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .المصادر والمراجع .

المبحث الأول: معجزة العصا

معجزة العصا لموسى -عليه السلام- هي البرهان الأول الخارق للعادة الدال على أنه لا يقدر على مثل هذا الا الله عز وجل، وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل فبعد مناجاة الله لموسى عليه السلام، بدأ الله تعالى بذكر البراهين الدالة على نبوة موسى عليه السلام لتصديق رسالته، فكانت معجزة العصا.

وهذه المعجزة جاءت مبينة في مواضع من كتاب الله تعالى، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَهْرِهِ فِي رِعَايَةِ الْغَنَمِ، وَسَارَ بِأَهْلِهِ قَيْلًا: قَاصِدًا بِلَادَ مِصْرَ بَعْدَمَا طَالَتِ الْغَيْبَةُ عَنْهَا أَكْثَرَ

مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ، فَأَضَلَّ الطَّرِيقَ، وَجَعَلَ يَقْدُحُ بَرْنَدٍ مَعَهُ لِيُورِيَ نَارًا، كَمَا جَرَتْ لَهُ الْعَادَةُ بِهِ، فَجَعَلَ لَا يَقْدُحُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَرٌّ وَلَا شَيْءٌ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطَّوْرِ نَارًا، أَيْ: ظَهَرَتْ لَهُ نَارٌ مِنْ جَانِبِ الْجَبَلِ الَّذِي هُنَاكَ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ يُبَشِّرُهُمْ: أ□□ أ□□ إِيَّيَّيَّ أَنْتُمْ نَارًا لَعَلَّيَّ آتِيكُمْ مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ طه: ١٠ ، أَيْ: شَهَابٍ مِنْ نَارٍ. وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: أ□□ أ□□ أَوْ جَدَّوِقٍ مِّنَ النَّارِ الْقِصَص: ٢٩ ، وَهِيَ الْجَمْرُ: الَّذِي مَعَهُ لَهَبٌ، أ□□ أ□□ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۗ الْقِصَص: ٢٩ ، فَنَادَاهُ اللَّهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَشَفَعَهُ فِي أَخِيهِ هَارُونَ فَأَرْسَلَهُ مَعَهُ، وَأَرَاهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَعْجَزَةَ الْعَصَا وَالْيَدِ لَيْسْتَأَنْسَ بِذَلِكَ قَبْلَ حُضُورِهِ عِنْدَ فِرْعَوْنَ¹

المبحث الثاني: معجزة اليد البيضاء

هذا هو البرهان الثاني على نبوة موسى عليه السلام، فبعد أن ذكر الله معجزة العصا، الدالة على صدق رسالة موسى -عليه السلام- ذكر المعجزة الثانية وهي معجزة اليد البيضاء التي تتقلب مشعة كشعاع الشمس تغشي البصر.

وبعد هاتين المعجزتين (العصا واليد البيضاء)، أمره الله موسى -عليه السلام- بالذهاب إلى فرعون لتبليغ رسالة ربه ودعوته إلى عبادته، فدعا موسى عليه السلام ربه بأربعة أمور: شرح صدره، وتيسير أمره، وحل عقدة لسانه، وجعل أخيه هارون نبياً وزيراً له، لتقويته، وتعاونه معه في أداء مهمة التبليغ، وذكر الله وعبادته، فصار مطلوب موسى ثمانية أمور، أربع منها وسائل، وأربع أخرى هي غايات.²

ولما دخل موسى -عليه السلام- على فرعون الطاغية مدّعي الألوهية وحوله ملؤه، جرت بينهما المحاوراة التالية: أ□□ أ□□ وَقَالَ مُوسَى يَنْفِرْ عَوْنُ إِيَّيَّيَّ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١١٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٦﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١١٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١١٨﴾ الأعراف: ١٠٤ - ١٠٨، وقول موسى لفرعون: أ□□ أ□□ إِيَّيَّيَّ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ الأعراف: ١٠٤ ، أَيْ: "أَرْسَلَنِي الَّذِي هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ"³ . وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الْإِلَهِ تَعَالَى فَإِنَّ قَوْلَهُ: رَبُّ الْعَالَمِينَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتٍ لِأَجْلِهَا افْتَقَرَ إِلَى رَبِّ يَرْبِيهِ وَاللَّهُ يُوجِدُهُ وَيَخْلُقُهُ.⁴

وَاخْتِيَارُ صِفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْإِعْلَامِ بِالْمُرْسَلِ إِبْطَالٌ لِاعْتِقَادِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ رَبُّ مِصْرَ وَأَهْلِهَا فَإِنَّهُ قَالَ لَهُمْ: أ□□ أ□□ أَنَا رَبُّكُمْ أَلْعَلَى ﴿١١٤﴾ النَّازِعَات: ٢٤ ، فَلَمَّا وَصَفَ مُوسَى مُرْسَلَهُ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ شَمِلَ فِرْعَوْنَ وَأَهْلَ مَمْلَكَتِهِ فَنَبْطُلُ دَعْوَى فِرْعَوْنَ أَنَّهُ إِلَهِ مِصْرَ بِطَرِيقِ اللَّزُومِ، وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ فِرْعَوْنُ يَدْعِي أَنَّهُ إِلَهُهُمْ.⁵

ثم قال موسى: أ□ أ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ الْأَعْرَاف: ١٠٥ ، أَي وَاجِبٌ وَحَقٌّ عَلَيَّ ذَلِكَ إِلَّا أُخْبِرَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ إِلَّا بِمَا هُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ، لِمَا أَعْلَمُ مِنْ عِزِّ جَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ. ٦ فالرَّسُولَ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، فَصَارَ نَظْمُ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ قَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، يَنْتِجُ أَنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، وَلَمَّا كَانَتِ الْمُقَدِّمَةُ الْأُولَى خَفِيَّةً، وَكَانَتِ الْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَّةُ جَلِيَّةً ظَاهِرَةً، ذَكَرَ مَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ الْمُقَدِّمَةِ الْأُولَى، وَ قَوْلُهُ: أ□ أ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيْنَتِي مِنَ رَبِّي ﷺ راف: ١٠٥، وَهِيَ المعجزة الظاهرة، وَلَمَّا قَرَّرَ رِسَالَةَ نَفْسِهِ فَرَعَ عَلَيْهِ تَبْلِيغَ الْحُكْمِ وَهُوَ قَوْلُهُ: أ□ أ فَارْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٧. الأعراف: ١٠٥.

يقول الامام الرازي: "وَأَعْلَمُ أَنَّ دَلِيلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَبْنِيَا عَلَى مُقَدِّمَاتٍ إِحْدَاهَا: أَنَّ لِهَذَا الْعَالَمِ إِلَهًا قَادِرًا عَالِمًا حَكِيمًا. وَالثَّانِيَّةُ: أَنَّهُ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ بِدَلِيلٍ أَنَّهُ أَظْهَرَ الْمُعْجَزَ عَلَى وَفْقِ دَعْوَاهُ وَمَتَى كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا حَقًّا. وَالثَّلَاثَةُ: أَنَّهُ مَتَى كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ كُلُّ مَا يَبْلُغُهُ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ." ٨

ثم طلب فرعون من موسى -عليه السلام- أن يأتي بالمعجزة إن كان صادقاً فقال: أ□ أ إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِبَيِّنَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﷺ راف: ١٠٦، وَكَأَنَّ فِرْعَوْنَ يَقُولُ لِمُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: لَسْتُ بِمُصَدِّقِكَ فِيمَا قُلْتَ، وَلَا بِمُطِيعِكَ فِيمَا طَلَبْتَ، فَإِنْ كَانَتْ مَعَكَ حُجَّةٌ وَبِرْهَانٌ فَأُظْهِرْهَا لِنَرَاهَا، إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فِيمَا تَقُولُ، وَتَدَّعِي مِنَ اللَّهِ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا. ٩ وَهنا نجدُ أن فرعون لم يقتنع ببرهان العقل (وهو أن العالم لا بد له من مُوجِدٍ وهذا المُوجِدُ هو الله تعالى) أو كان قاصراً عَنِ النَّظَرِ فِيهِ فَانْتَقَلَ إِلَى طَلَبِ خَارِقِ الْعَادَةِ، أَي كَأَنَّ فِرْعَوْنَ يَقُولُ لِمُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: إِنْ كُنْتُ جِئْتُ مُتَمَكِّنًا مِنْ إِظْهَارِ الْآيَةِ، فَأُظْهِرْ هَذِهِ الْآيَةَ. ١٠ فما كان من موسى -عليه السلام- إلا أن يستخدم ما أيده الله به من المعجزات، ليدل على صدق نبوته قال تعالى: أ□ أ فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﷻ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﷻ الأعراف: ١٠٧ - ١٠٨ .

فما كان من فرعون إلا أن كذب بآيات الله واستكبر عنها، واتهم موسى -عليه السلام- بأن هذا الذي جئت به سحر ونحن نعارضك به، قال تعالى: أ□ أ وَلَقَدْ آرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﷻ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﷻ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ وَنَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا ﷻ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﷻ طه: ٥٦ - ٥٩ .

ثُمَّ طَلَبَ مِنْ مُوسَى أَنْ يُوَاعِدَهُ إِلَى وَقْتِ مَعْلُومٍ وَمَكَانٍ مَعْلُومٍ، وَكَانَ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ مَقَاصِدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ يُظْهِرَ آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجَهُ وَبِرَاهِينَهُ جَهْرَةً بِحَضْرَةِ النَّاسِ، وَلِهَذَا قَالَ: أ□ أ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ طه: ٥٩، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ مِنْ أَعْيَادِهِمْ وَمُجْتَمَعٍ لَهُمْ " وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى " أَي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي وَقْتِ اشْتِدَادِ ضِيَاءِ الشَّمْسِ، فَيَكُونُ الْحَقُّ أَظْهَرَ وَأَجْلَى، وَلَمْ يَطْلُبْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَيْلًا فِي ظَلَمٍ، كَيْمَا

يُورِجُ عَلَيْهِمْ مَحَالًا وَيَبْطِلًا، بَلْ طَلَبَ أَنْ يَكُونَ نَهَارًا جَهْرَةً، لِأَنَّهُ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَيَقِينُ بِأَنَّ اللَّهَ سَيُظْهِرُ كَلِمَتَهُ وَدِينَهُ، وَإِنْ رَعِمْتَ أَنْوْفُ الْفَيْطِ¹¹.

فبعدما قبل موسى -عليه السلام- التحدي، وواعد فرعون يوم الزينة في مشهد مهيب، يبدأ النزال وينطلق التحدي، وكانت البداية للسحرة، وقد استرهبوا الناس، وأزاعوا الأعين انبهاراً بما صنعوا، فوقع الخوف في قلب موسى -عليه السلام- على الدعوة ونجاحها، فكان تثبت الله ثم التأييد التام منه أ□ أ□ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحَرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ طه: ٦٨ - ٦٩، وانقلب السحر على السحرة حتى دخل الإيمان في قلوبهم، ولم يملكوا إلا أن خروا لله ساجدين، قال تعالى: أ□ أ□ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ طه: ٧٠، فكان إيمان هؤلاء العالمين بالسحر الذين استتصر بهم فرعون على ما جاء به موسى -عليه السلام- برهاناً دافعاً لفرعون يثبت له وللملأ من حوله صدق المعجزة، وأن موسى رسول الله حقاً، ولم يبقَ بعد ذلك عذر لمعتذر.¹²

فَرَجَعَ عَدُوُّ اللَّهِ فِرْعَوْنُ حِينَ آمَنَتِ السَّحَرَةُ مَغْلُوبًا مَغْلُوبًا، ثُمَّ أَبِي إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى الْكُفْرِ وَالنَّمَادِي فِي الشَّرِّ، فَتَابَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْآيَاتِ، ثُمَّ تَنَالَتِ الْمِعْجَزَاتُ فِي حَيَاةِ فَمُوسَى -عليه السلام- مع قومه فكان منها بقية معجزاته التسع.¹³

وكان من مظاهر هاتين المعجزتين (العصا واليد البيضاء) الأمور التالية:

- 1- أن فرعون وقومه، كانوا موقنين بصدق موسى عليه السلام، وأن ما جاء به من معجزات بينة وآيات باهرة هو حق، ولكنه استكبر هو ومن معه، واتهم موسى وهارون -عليهما السلام- بالسحر.
- 2- إيمان السحرة برب موسى وهارون -عليه السلام-، دليل واضح على أن ما جاء به موسى عليه السلام من معجزات بينة وآيات باهرة، لم يكن من قبيل السحر؛ بل هو الحق من ربهم.
- 3- مما يثبت أن الذي جاء به موسى -عليه السلام- هو معجزة، أن انقلاب العصا إلى أفعى كان انقلاباً حقيقياً، فإله عز وجل عندما أمر موسى بأن يلقي عصاه بقوله: أ□ أ□ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ طه: ١٩، فلما ألقاها فإذا هي حية تسعى، فلما رأى موسى ذلك، ولَّى هارباً خوفاً منها، لظنه أن ذلك الأمر أريد به هلاك نفسه، وذلك الخوف من أقوى الدلائل على صدق نبوته، وفي ذلك يقول الشيخ أبو القاسم الأنصاري رحمه الله تعالى: وَذَلِكَ الْخَوْفُ مِنْ أَقْوَى الدَّلَائِلِ عَلَى صِدْقِهِ فِي النَّبُوءَةِ؛ لِأَنَّ السَّاحِرَ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أَتَى بِهِ تَمْوِيَهُ فَلَا يَخَافُهُ النَّبِيَّةَ.¹⁴
- 4- وقوع التغيير في العصا من دلائل الإعجاز، فبعدما كانت عصا عادية حُوِّلت إلى حية تسعى من جنسها ثم أعيدت عصا كما كانت، وهذا كله من دلائل الإعجاز.

المعجزة الثالثة: معجزة الرجز (العذاب)

وتتضمن هذه المعجزة صوراً متتالية من الآيات الربانية، وفيما يلي إيضاح قصة هذه المعجزة: إنَّ الله -عز وجل- لما أرسل موسى -عليه السلام- إلى فرعون، ومعه أخيه هارون كان الهدف من الرسالة يتمثل في أمرين: الأول: الدعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده. والثاني: أن يطلق بني إسرائيل لعبادة الله سبحانه وتعالى ولكن فرعون بعد حوار مع موسى -عليه السلام- يتجاهل رب العالمين، ويستخف بموسى -عليه السلام- وبدعوته، فلم يستجب لأي مطلب، وأخذته العزة بالإثم، وعتا عن أمر الله، وتمادى في تكذيب موسى -عليه السلام-، واستمر في إذلال بني إسرائيل وإهانتهم وتسخيرهم.

فأمر الله موسى أن يعلن لفرعون وقومه، أن الله سيوقعه بهم ألواناً من العذاب عقوبة لهم ما داموا على كفرهم وعنادهم واصرارهم، وتوالت على فرعون وقومه صنوف العذاب الرباني؛ فكان يحدد لهم موسى الصنف من العذاب، ويُنَبِّئُهُم بوقوعه حتى إذا حلَّ العذاب¹⁵ وَجَّهَهُمْ وَأَضْنَكَهُمْ، حَلَفُوا وَعَاهَدُوا مُوسَى لئِنْ كَشَفَ عَنْهُمْ هَذِهِ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ، وَلَيُرْسِلَنَّ مَعَهُ مَنْ هُوَ مِنْ جَزِيهِ، فَكَلَّمَا رُفِعَتْ عَنْهُمْ تِلْكَ الْآيَةُ عَادُوا إِلَى شَرِّ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَلَمْ يَلْتَقُوا إِلَيْهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً أُخْرَى هِيَ أَشَدُّ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَهَا وَأَقْوَى، فَيَقُولُونَ وَيَكْذِبُونَ، وَيَعْدُونَ وَلَا يَقُونَ؛ فَيُكْشَفُ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَذَابُ الْوَبِيلُ، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى جَهْلِهِمُ الْعَرِيضِ الطَّوِيلِ. هَذَا، وَالْعَظِيمُ الْفَدِيرُ، يُنْظِرُهُمْ وَلَا يَعَجَلُ عَلَيْهِمْ، وَيُؤَخِّرُهُمْ وَيَبْقِدُهُم بِالْوَعِيدِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَالْإِعْدَارِ إِلَيْهِمْ، أَخَذَ عَزِيزٍ مُفْتَدِرٍ، فَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً وَنَكَالًا وَسَلْفًا لِمَنْ أَشْبَهَهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَمَثَلًا لِمَنْ اتَّعَظَ بِهِمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.¹⁶

وكانت الآيات التي أرسلها الله تعالى عقاباً لفرعون وقومه على النحو الآتي:

المطلب الأول: رجز السنين

السنين جميع السنَّةِ وَهِيَ الْقَحْطُ وَالْجَدْبُ جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: أَصَابَتْهُمْ السَّنَةُ، أَي: الْقَحْطُ وَالْجَدْبُ¹⁷. وذلك بسبب قلة مياه النيل، وانحباس الأمطار من السماء.¹⁸

وجاء دليلها بقول الحق - سبحانه - كتابه، حيث قال: **أَلَمْ نَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴿١٣٠﴾ الأعراف: ١٣٠.

السنة الجذب الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجذب والقحط: سنة، ويجمع على سنين كما قال تعالى: **{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ} [الأعراف: 130]** أي: الجذب المتوالي.¹⁹

المطلب الثاني: رجز نقص الثمرات

وكان ذلك بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل، بسبب ما يرسل الله عليها من الجوائح والآفات.²⁰ ولقد ورد هذين العذابين في قوله تعالى: **أَلَمْ نَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ**

يَذَكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ الأعراف: ١٣٠ ، يقول الإمام الرزاي: "اعلم أنه تعالى لما حكى عن موسى عليه السلام أنه قال لِقَوْمِهِ: عسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ [الأعراف: 129] لا جرم بدأ هاهنا بِذِكْرِ مَا أَنْزَلَهُ بِفِرْعَوْنَ وَبِقَوْمِهِ مِنَ الْمِحْنِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، إِلَى أَنْ وَصَلَ الْأَمْرَ إِلَى الْهَلَاكِ، تَنْبِيْهًُا لِلْمُكَلَّفِينَ عَلَى الرَّجْرِ عَنِ الْكُفْرِ، وَالنَّمْسِكِ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ حَوْفًا مِنْ نُزُولِ هَذِهِ الْمِحْنِ بِهِمْ.²¹

وهذه الْمَصَائِبُ الَّتِي أَصَابَ اللَّهُ بِهَا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَجَعَلَهَا آيَاتٍ لِمُوسَى، لِيَلْجِئَ فِرْعَوْنَ إِلَى الْإِذْنِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْخُرُوجِ، وَقَدْ وَقَعَتْ تِلْكَ الْآيَاتُ بَعْدَ الْمُعْجَزَةِ الْكُبْرَى الَّتِي أَظْهَرَهَا اللَّهُ لِمُوسَى فِي مَجْمَعِ السَّحْرَةِ، وَيُظْهِرُ أَنَّ فِرْعَوْنَ أَغْضَى عَنِ تَحْقِيقِ وَعِيدِهِ إِبْقَاءً عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُومُونَ بِالْأَشْغَالِ الْعَظِيمَةِ لِفِرْعَوْنَ.²²

فقوله تعالى {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ} أَي: اخْتَبَرْنَاهُمْ وَامْتَحَنَّاهُمْ وَابْتَلَيْنَاهُمْ²³ {بِالسِّنِينَ} أَي: بِالْجَدُوبِ لِقَلَّةِ الْأَمْطَارِ وَالْمِيَاهِ، وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ بِسَبَبِ عَدَمِ نُزُولِ الْمَطْرِ وَكَثْرَةِ الْعَاهَاتِ.²⁴ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ وَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: ظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْمَضَارَّ لِأَجْلِ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ طَرِيقَةِ التَّمَرُّدِ وَالْعِنَادِ إِلَى الْإِنْقِيَادِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَحْوَالَ الشَّدَّةِ تُرْفِقُ الْقَلْبَ وَتُرْعِبُ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ. الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: قَالَ الْقَاضِي: هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى فَعَلَ ذَلِكَ إِرَادَةً مِنْهُ أَنْ يَتَذَكَّرُوا لَا أَنْ يُقِيمُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ.²⁵

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى موقف آل فرعون بعد حال نزول العذاب فقال: أ□ إِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذَا وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا تَلَوْنَاهُمْ كَمَا تُلَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا نَارٌ مَلْمُومَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَكِنَّ كَثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ الأعراف: ١٣١.

(إِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذَا) أَي: الْخَصْلَةُ الْحَسَنَةُ مِنَ الْخِصْبِ بِكَثْرَةِ الْمَطْرِ وَصَلَاحِ الثَّمَرَاتِ وَرَخَاءِ الْأَسْعَارِ قَالُوا لَنَا هَذِهِ أَي: أَعْطَيْنَاهَا بِاسْتِحْقَاقٍ، وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِنَا (وَإِنْ نُصِبْنَاهُمْ سَيِّئَةً) أَي: خَصْلَةً سَيِّئَةً مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ وَكَثْرَةِ الْأَمْرَاضِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْبَلَاءِ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَي: يَنْشَاءُمُو بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ.²⁶ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ سَبَبَ الْمَصَائِبِ هُوَ كُفْرُهُمْ وَإِعْرَاضُهُمْ؛ لِأَنَّ حُلُولَ الْمَصَائِبِ بِهِمْ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُسَبِّبًا عَنْ أَسْبَابٍ فِيهِمْ لَا فِي غَيْرِهِمْ، وَهَذَا مِنَ الْعِمَايَةِ فِي الضَّلَالَةِ فَيَبْقُونَ مُنْصَرِفِينَ عَنِ مَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ الْحَقِيقِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّطِيرُ مِنْ شِعَارِ أَهْلِ الشَّرْكِ؛ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى نَسْبَةِ الْمُسَبِّبَاتِ لِغَيْرِ أَسْبَابِهَا، وَذَلِكَ مِنْ مُخْتَرَعَاتِ الدِّينِ وَضَعُوا لَهُمْ دِيَانَةَ الشَّرْكِ وَأَوْهَامَهَا.²⁷

المطلب الثالث: رجز الطوفان

وَالطُّوفَانُ: الْمَاءُ الَّذِي يَغْشَى كُلَّ مَكَانٍ، وَقِيلَ: الْمَطَرُ الْعَالِبُ الَّذِي يُغْرِقُ مِنْ كَثْرَتِهِ، وَقِيلَ: الطُّوفَانُ الْمَوْتُ الْعَظِيمُ، وَقِيلَ الطُّوفَانُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا كَانَ كَثِيرًا مُحِيطًا مُطِيفًا بِالْجَمَاعَةِ كُلِّهَا كَالْعَرَقِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى الْمُدُنِ الْكَثِيرَةِ. وَالْقَتْلُ الدَّرِيعُ وَالْمَوْتُ الْجَارِفُ يُقَالُ لَهُ طُوفَانٌ، وَبِذَلِكَ كُلُّهُ فَسَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ

وَهُمْ ظَالِمُونَ.²⁸

وأما معنى الطوفان عند علماء التفسير فقد اختلفوا فيه:

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ: كَثْرَةُ الْأَمْطَارِ الْمُعْرِقَةِ لِلزُّرُوعِ وَالنَّمَارِ. وَبِهِ قَالَ الضَّحَّاكُ بِنُ مِرْزَاحِمٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: هُوَ كَثْرَةُ الْمَوْتِ. وَكَذَا قَالَ عَطَاءٌ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {الطُّوفَانُ} الْمَاءُ، وَالطَّاعُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ طَافَ بِهِمْ، ثُمَّ قَرَأَ: أَوْطَاقَ عَلَيْهَا طَافُفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ القلم: ١٩، وقال بعضهم: هُوَ كَثْرَةُ الْمَطَرِ وَالرَّيْحِ.²⁹

يقول الإمام الطبري: "وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي، مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى مَا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو ظَبْيَانَ أَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ طَافَ بِهِمْ، وَأَنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: طَافَ بِهِمْ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ يَطُوفُ طَوْفَانًا، كَمَا يُقَالُ: نَفَّصَ هَذَا الشَّيْءُ يَنْفُصُ نَفْصَانًا. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، جَازَ أَنْ يَكُونَ الَّذِي طَافَ بِهِمْ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ، وَجَازَ أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ الدَّرِيْعُ."³⁰

ويستبعد الأمام الرازي أن يكون الطوفان بمعنى الموت، ويرى أن الطوفان جاء بمعنى المطر الكثير؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ أُمِيتُوا لَمْ يَكُنْ لِإِزْسَالِ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ فَائِدَةٌ؛ بَلْ لَوْ صَحَّ هَذَا الْخَبْرُ لَوَجَبَ حَمْلُ لَفْظِ الْمَوْتِ عَلَى حُصُولِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ مِثْلَ الْمَطَرِ الشَّدِيدِ وَالسَّيْلِ الْعَظِيمِ وَغَيْرِهِمَا³¹.

وَأَمَّا عَنِ سَبَبِ الْمَعْجِزَةِ: أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا قَالُوا لِمُوسَى: مَهْمَا أَتَيْتَنَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ فَهِيَ عِنْدَنَا مِنْ بَابِ السَّحْرِ، وَنَحْنُ لَا نُؤْمِنُ بِهَا الْبَتَّةَ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا حَدِيدًا فَعِنْدَ ذَلِكَ دَعَا عَلَيْهِمْ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ الدَّائِمَ لَيْلًا وَنَهَارًا سَبْتًا إِلَى سَبْتِ، حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لَا يَرَى شَمْسًا وَلَا قَمَرًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ مِنْ دَارِهِ، وَجَاءَهُمُ الْعَرَقُ فَصَرَخُوا إِلَى فِرْعَوْنَ وَاسْتَعَاثُوا بِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ فَقَدْ صَارَتْ مِصْرُ بَحْرًا وَاحِدًا، فَإِنْ كَشَفْتَ هَذَا الْعَذَابَ آمَنَّا بِكَ، فَأَزَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْمَطَرَ، وَأَرْسَلَ الرِّيحَ فَجَفَّتِ الْأَرْضُ، وَخَرَجَ مِنَ النَّبَاتِ مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ. فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي جَزَعْنَا مِنْهُ خَيْرٌ لَنَا لَكِنَّا لَمْ نَشْعُرْ. فَلَا وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِكَ، وَلَا تُرْسِلْ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَتَكْفُرُوا الْعَهْدَ وَعَادُوا إِلَى الْكُفْرِ.³²

المطلب الرابع: رجز الجراد

الْجَرَادُ: هُوَ الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِأَكْلِ زُرُوعِهِمْ فَأَكَلَهَا.³³

سبب المعجزة

أن الله بعد أن رفع عنهم الطوفان، وأنبت لهم تلك السنة شيئاً لم ينبته قبل ذلك من الكأ والزرع والثمر، وأخصبت بلادهم، فقالوا: ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا، فلم يؤمنوا، وأقاموا شهراً في عافية، فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر، وأكل الأبواب وسقوف البيوت، والخشب والثلثاب والأمتعة، وابتلي الجراد بالجوع فكان لا يشبع، وامتلات دور القبط منه، ولم يصب بني

إسرائيل من ذلك شيء فعجوا وضجوا، وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك، لئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك، وأعطوه عهد الله وميثاقه بذلك، فدعاه موسى ربه عز وجل، فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت.³⁴

المطلب الخامس: رجز القمل

يقول الإمام الرزاي: وَأَمَّا الْقُمَّلُ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ، قِيلَ: هُوَ الدَّبِّي الصَّغَارُ الَّذِي لَا أَجِنَّحَةَ لَهُ، وَهِيَ بَنَاتُ الْجَرَادِ.³⁵ فبعد أن نجاهم الله من الجراد نكثوا عهدهم مع موسى -عليه السلام- فَأَرْسَلَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلَ سَبْتًا إِلَى سَبْتٍ، فَلَمْ يَبْقَ فِي أَرْضِهِمْ عودٌ أَخْضَرَ إِلَّا أَكَلَتْهُ، فَصَاحُوا وَسَأَلَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- رَبَّهُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا رِيحًا حَارَّةً، فَأَحْرَقَتْهَا وَاحْتَمَلَتْهَا الرِّيحُ، فَأَلْقَتْهَا فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ بَعْدَ ذَلِكَ.³⁶

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ كَانَ إِلَى جَنْبِهِمْ كَثِيبٌ أَعْفَرٌ فَضْرَبَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَصَاهُ فَصَارَ قُمَّلًا. فَأَخَذَتْ فِي أُنْبُسَارِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَأَشْفَارِ عِيُونِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ وَلَزِمَ جُلُودَهُمْ كَأَنَّهُ الْجُدْرِيُّ فَصَاحُوا وَصَرَخُوا وَفَزِعُوا إِلَى مُوسَى فَرَفَعَ عَنْهُمْ فَقَالُوا: قَدْ تَبَقْنَا الْآنَ أَنْتَكَ سَاحِرٌ عَلِيمٌ. وَعَزَّةَ فِرْعَوْنَ لَا نُؤْمِنُ بِكَ أَبَدًا.³⁷

المطلب السادس: رجز الضفادع

والضفدع آية جاءت من عند الله لتؤيد رسالة موسى -عليه السلام- التي بعث بها من عند الله إلى فرعون الذي ادعى أنه إله، فضرب بها فرعون وقومه لعلمهم يتعضون ويؤمنوا بالله. فقد ورد في التفسير أن الله أرسل عليهم الضفادع فكانت في الأرض، و في الغدران، وَمَنَاقِعِ الْمِيَاهِ، صَوْتُهُ مِثْلُ الْفُرَاقِرِ يُسَمَّى نَقِيفًا، أَصَابَهُمْ جُنْدٌ كَثِيرٌ مِنْهُ يَقَعُ فِي طَعَامِهِمْ يَرْتَمِي إِلَى الْفُؤُورِ، وَيَقَعُ فِي الْعُيُونِ وَالْأَسْفِيَةِ وَفِي الْبُيُوتِ فَيُفْسِدُ مَا يَقَعُ فِيهِ وَتَطْوُهُ أَرْجُلُ النَّاسِ فَيَتَقَدَّرُ بِهِ الْبُيُوتُ، وَقَدْ سَلِمَتْ مِنْهُ بِلَادُ (جَاسَانَ) مَنْزِلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.³⁸ فامتلات منها بيوتهم وأطعمتهم وأنيتهم فلا يكشف أحد إناء ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع سبقه الضفدع إلى فيه.³⁹

فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام ما يلقونه من الضفادع، وقالوا: هذه المرة نتوب ولا نعود، فأخذ موسى عليه السلام عليهم العهود والمواثيق، ثم دعا الله عز وجل، فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقامت عليهم سبعا من السبت إلى السبت، فأقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد، وعادوا إلى كفرهم، فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأرسل الله عز وجل الدم.⁴⁰

المطلب السابع: رجز الدم

لقد ورد الدم في القرآن الكريم بأنه المعجزة التي أيده الله بها موسى عليه السلام، فلما نقض فرعون وقومه العهد -كعادتهم- مع موسى -عليه السلام-، وعادوا إلى الكفر بعد معجزة الضفادع، دعا عليهم موسى -عليه السلام- فأرسل الله عز وجل عليهم الدم.

وجاء في التفسير كلاماً عن هذه المعجزة وهو: أن الله أرسل عليهم الدم، فسال النيل عليهم دماً، وصارت مياههم دماً، فما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجدوه دماً عبيطاً أحمر، فشكوا ذلك إلى فرعون

وقالوا ليس لنا شراب، فقال: إنه سحركم، فقال القوم: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا دماً عبيطاً، وكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي على الإناء الواحد، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء، وما يلي القبطي دماً، ويقومان إلى الجرة فيها الماء فيخرج للإسرائيلي ماء وللقبطي دم، وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة، فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه ملحاً أجاجاً، فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم. ، فأتوا موسى وقالوا: يا موسى ادع ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه عز وجل فكشف عنهم فلم يؤمنوا، فذلك قوله عز وجل: فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات، يتبع بعضها بعضاً وتقصيلها أن كل عذاب كان يمتد أسبوعاً وبين كل عذابين شهراً، فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين.⁴¹

يتبين لنا مما سبق الأمور الآتية:

1- أن معجزات الرجز، آيات ظاهرة واضحة بينة، كل آية منفصلة عن الأخرى زمنياً، ومختلفة أثراً، حتى يكون في الانفصال الزمني فرصة للمراجعة والرجوع إلى الله، وحتى يكون في اختلاف الأثر، وفي تذوق تلك الطعوم المرة المختلفة لهذه المحن، ما يجعل البلاء شاملاً لهم جميعاً، على اختلاف معاشهم، وتنوع أحوالهم، وتباين طبائعهم، فمن لم يصبه الطوفان في ماله، أو نفسه، أصابه الجراد أو القمل، أو الضفادع، أو الدم.. وهكذا لا يسلم أحد منهم من أن تلبسه المحنة، وتشتمل عليه، وهذه الآفات، من طوفان، وجراد، وقمل، وضفادع، ودم، إنما تكون بلاء حين تجاوز الحد، وتخرج على غير المألوف، بحيث تغطي وجه الحياة على الإنسان، وتسد عليه منافذ التحرك إلى أي اتجاه، إنها حينئذ تكون نقمة من أفسى النقم، ولو كانت في أصلها مما يطلبه الإنسان ويحرص عليه.⁴²

2- أَنَّ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ الْمَذْكُورَةَ مِنَ الْعَذَابِ كَانَتْ عِنْدَ وَفُوعِهَا مُخْتَصَّةً بِقَوْمِ فِرْعَوْنَ وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْهَا فِي أَمَانٍ وَفِرَاعٍ وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُعْجَزٌ، وَاخْتِصَاصُهُ بِالْقَبْطِيِّ دُونَ الْإِسْرَائِيلِيِّ مُعْجَزٌ آخَرٌ.⁴³

المبحث الرابع : معجزة فلق البحر ونجاة موسى عليه السلام ومن معه .

ذُكِرَتْ قِصَّةُ عِبُورِ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرِ فِي مَوَاضِعٍ عَدَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ بِالْبُقْرَةِ: ٥٠ . فبعدما طال مقام موسى عليه السلام في مصر، وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملائه، وهم مع ذلك يكابرون و يعاندون، فلم يكن من موسى عليه السلام إلا أن دعا على عدو الله فرعون غضبا لله عليه؛ لتكبره عن اتباع الحق وصدده عن سبيل الله، ومعاندته وعتوه وتمرده، واستمراره على الباطل، ومكابرتة الحق الواضح الجلي الحسي والمعنوي، والبرهان القطعي، فقال موسى عليه السلام: ﴿أَأَرْبَبًا

إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ يونس: ٨٨، و لَمَّا كَانَ مِنْ سُنَّتِهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ إِجَاءَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، الْمُعْتَرِفِينَ بِرِسَالَةِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَإِهْلَاكَ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِ، أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَخْرُجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا وَسَمَاهُمْ عِبَادَهُ، لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِمُوسَى⁴⁴، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أ□ أ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾ الشعراء: ٥٢ ، فَخَرَجَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ سَحْرًا، فَتَرَكَ الطَّرِيقَ إِلَى الشَّامِ عَلَى يَسَارِهِ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْبَحْرِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ فِرْعَوْنُ وَعَلِمَ بِسُرَى مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، خَرَجَ فِي أَثَرِهِمْ، وَبَعَثَ إِلَى مَدَائِنِ مِصْرَ، وَأَمَرَ أَنْ يُجْمَعَ لَهُ الْجَيْشُ مِنْ كُلِّ الْمُدُنِ قَائِلًا لَهُمْ: أ□ أ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ الشعراء: ٥٤، أَي طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ⁴⁵، وَحَشَدُ فِرْعَوْنَ قَوَاتِهِ ، وَجَهَّزَ جَيْشَهُ ، وَلَحِقَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: أَنَّ فِرْعَوْنَ خَرَجَ فِي جَحْفَلٍ عَظِيمٍ وَجَمَعَ كَثِيرًا ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ مَمْلَكَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، أُولَى الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَالِدُّوْلِ، مِنْ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَءِ وَالْكَبْرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْجُنُودِ⁴⁶، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى: إِنَّا لَمُدْرِكُونَ، أَي مُلْحِقُونَ يَلْحَقُنَا فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ فَيَقْتُلُونَنَا، قَالُوا ذَلِكَ حِينَ رَأَوْا فِرْعَوْنَ الْجَبَّارَ وَجُنُودَهُ وَرَأَوْهُمْ، وَابْتَدَأَ مَامَهُمْ، وَسَاعَتْ ظَنُونُهُمْ، فَطَمَنَّهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِوَعْدِ اللَّهِ لَهُ بِانجَائِهِ⁴⁷ فَقَالَ: أ□ أ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ الشعراء: ٦٢ .

وحين وثق موسى بربه، وتأكد من نصرته ومعونته، أمدّه الله تعالى بالقوى التي لا تقاوم، وبالنصر الموزر الذي لا يدافع؛ وأوحى ربه إليه. أ□ أ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ الْأَعْرَافَ: ١٦٠ ، فَضْرِبَهُ فَانْفَلَقَ، وَانْحَسَرَ الْمَاءُ يَمْنَةً وَمَيْسِرَةً ، فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ، وَسَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي أَرْضِ الْبَحْرِ الَّتِي انْحَسَرَ الْمَاءُ عَنْهَا بِالْمُعْجَزَةِ الرِّبَانِيَّةِ الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ عَلَى يَدِ نَبِيِّهِ مُوسَى حَتَّى جَاوَزُوا الْبَحْرَ وَنَجَوْا، وَلِحَقَّهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، فَلَمَّا تَكَامَلَ دُخُولُهُمْ وَكَادُوا يَخْرُجُونَ مِنَ الْبَحْرِ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ فَغَرَقُوا وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.⁴⁸

وكان من مظاهر هذه المعجزة ما يلي:

1- بينت لنا هذه المعجزة بعضاً من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون. وتتجلى قدرة الله هنا في مواضع منها :

- صار الماء المائع السائل جامداً مكانه .
- لما انفلق البحر معلوم أن قاعه طين لا يُمكن من المشي عليه ، فظهرت قدرة الله الذي أمره أن يصير يبساً لئسلك .

2- أنها معجزة عظيمة تحمل معاني وعبر تبيّن حُب الله تعالى لعباده ونصرته لهم، وبشهادته لذلك قوله

تعالى: وكان حقاً علينا نصر المؤمنين، وهي تدعو العباد إلى الثقة بالله سبحانه وتعالى، والتوكل عليه دائماً، واللجوء إليه، والتسليم له سبحانه وتعالى.

3- بين لنا هذه المعجزة أنّ التكبر عن اتباع الحق، والصد عن سبيل الله والمعاندة والتمرد لرسول الله طريقاً إلى الهلاك، وهذا سبب هلاك فرعون وجنوده.

4- في خروج موسى ببني إسرائيل مع كثرتهم على ما ذكر أنهم كانوا ستمائة ألف فصاعداً من غير أن علم القبط بذلك - آية عظيمة؛ إذ لا يقدر نفر الخروج من محلة أو ناحية إلا ويعلم أهلها بخروجهم، ففي ذلك كان آية عظيمة؛ حيث خرجوا من بينهم من غير أن علم أحد منهم بذلك.⁴⁹

المبحث الخامس : معجزة بعث جماعة من بني إسرائيل إلى الحياة بعد موتهم بالصاعقة

تجاوز بنو إسرائيل البحر كما علمنا في المعجزة السابقة، على يدي نبي الله موسى، فلم تزجرهم تلك الآيات، ولم تعظم تلك العبر والبيانات.

وعلى الرغم من كثرة المعجزات والآيات من الله تعالى لقوم موسى إلا أنهم أظهروا العناد والمكابرة والتعنّت وعدم الإيمان لموسى عليه السلام، ذلك أنّ موسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: **إِنْ خَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ سَالِمِينَ أَنْتُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِكِتَابٍ بَيِّنٍ، لَكُمْ فِيهِ مَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، فَلَمَّا جَاوَزَ مُوسَى الْبَحْرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَعْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالُوا: يَا مُوسَى اثْنَبْنَا بِذَلِكَ الْكِتَابِ الْمَوْعُودِ، فَذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ وَوَعَدَهُمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: أ□□ أ * وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً الْأَعْرَاف: ١٤٢،** **وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ هَارُونَ، وَمَكَثَ عَلَى الطُّورِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَأَنْزَلَ اللَّهُ التَّوْرَةَ عَلَيْهِ فِي الْأَلْوَابِ،** ثم إنهم لما استبطأوا قدوم موسى عليه السلام رجعوا إلى ما أفوه من الوثنية بمصر فعبدوا العجل قبل استكمال الميعاد⁵⁰، ولما رأوا أنهم قد ظلوا عن التوحيد لعبادتهم العجل تابوا إلى الله ومع فداحة الذنب وعظم الخطيئة؛ فإن رحمة الله عز وجل أكبر، وعفوه تبارك وتعالى أوسع وأعظم قال تعالى: **أ□□ أ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴿٥٢﴾ البقرة: ٥٢، ولكن ذلك العفو كان لا بد له من الكفارة، فبعد أن أمرهم موسى بالمراجعة من ذنبيهم والإجابة إلى الله من رديتهم بالتوبة إليه، والتسليم لطاعته فيما أمرهم به وأخبرهم أنّ توبتهم من الذنب الذي ركبوه قتلهم أنفسهم⁵¹، فاستجاب القوم لما أمرهم به موسى من التوبة مما ركبوا من ذنوبهم إلى ربهم على ما أمرهم به، وعمدوا إلى الخناجر، فجعل يطعن بعضهم بعضاً،⁵² حتى مات منهم خلق كثير ولما رأى موسى أن القتل قد كثر فيهم ذهب يستغفر لهم، فغفر الله لهم.⁵³

ولما تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل، أمر الله تعالى موسى أن يختار من قومه رجالاً يعتذرون إليه من عبادتهم العجل، فاختر موسى سبعين رجلاً من خيارهم كما قال تعالى: **أ□□ أ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا الْأَعْرَاف: ١٥٥،** وقال لهم: صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا، وخرج

بهم إلى طور سيناء، فقالوا لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا فقال: افعِل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغطى الجبل كله، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً، فسمعوا الله يكلم موسى يأمره وينهاه، فلما انكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم⁽⁵⁴⁾، فَقَالَ الْقَوْمُ بَعْدَ ذَلِكَ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فَأَخَذْنَهُمُ الصَّاعِقَةَ وَمَاتُوا جَمِيعًا، وَقَامَ مُوسَى رَافِعًا يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَدْعُو وَيَقُولُ: يَا رَبِّ احْتَرْتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَبْعِينَ رَجُلًا لِيَكُونُوا شُهُودِي بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ، فَأَرْجِعْ إِلَيْهِمْ وَلَيْسَ مَعِيَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ، فَمَا الَّذِي يَقُولُونَ فِيَّ، فَلَمْ يَزَلْ مُوسَى مُشْتَعِلًا بِالدُّعَاءِ حَتَّى رَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحَهُمْ، فَقَامُوا وَنَظَرُوا وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَى الْآخِرِ كَيْفَ يُحْيِيهِ اللَّهُ تَعَالَى⁵⁵.

فكان من مظاهر هذه المعجزة ما يلي:

1- الموت الجماعي بالصاعقة عقب قولهم لموسى عليه السلام: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} البقرة: 55.

2- إعادتهم إلى الحياة بعد الموت، قال تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} البقرة: 56.

المبحث السادس: معجزة رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل كي يعطوا الميثاق على ما في الألواح.

عند النظر في آيات المعجزة وكلام المفسرين فيها، نجد أن الآيات صريحة في ألفاظها بما تضمنت من حقيقة هذه المعجزة، لا سيما ما جاء في آية الأعراف في قوله تعالى: {أَوَلَا نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ﴿١٧١﴾ الأعراف: ١٧١

وأما عن سبب المعجزة، فقد ذكر المفسرون أن قوم موسى مع كثرة ما عينوا من الآيات التي جرت على يدي موسى، وعظيم ما كان لهم من موسى من النعم من استنقاذه إياهم من استرقاق فرعون، وإخراجهم من يده، وفرق البحر لهم، ومجاورته بهم، وتفجير الأنهار من الحجر، وإنزال المن والسلوى لهم؛ فجميع ما كان لهم من موسى ما ذكرنا، لم يقبلوا التوراة، ولم يقرروا بها إلا بعد رفع الجبل عليهم والإرسال⁵⁶.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَبْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْأَلْوَابِ فِيهَا التَّوْرَةُ أَمَرَهُمْ بِقَبُولِهَا وَالْأَخِذَ بِهَا بِقُوَّةٍ وَعَزْمٍ، فَقَالُوا: انشُرْهَا عَلَيْنَا فَإِنْ كَانَتْ أَوْامِرُهَا وَنَوَاهِيهَا سَهْلَةً قَبَلْنَاهَا، فَقَالَ: بَلِ اقْبَلُوهَا بِمَا فِيهَا، فَرَاجَعُوهُ مِرَارًا، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَرَفَعُوا الْجَبَلَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ، أَيِ غَمَامَةٍ، عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَقِيلَ لَهُمْ إِنْ لَمْ تَقْبَلُوهَا بِمَا فِيهَا وَإِلَّا سَقَطَ هَذَا الْجَبَلُ عَلَيْكُمْ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ، وَأَمَرُوا بِالسُّجُودِ فَسَجَدُوا، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَبَلِ بِشِقِّ وُجُوهِهِمْ، فَصَارَتْ سُنَّةً لِلْيَهُودِ إِلَى الْيَوْمِ، يَقُولُونَ لَا سَجْدَةَ أَعْظَمُ مِنْ سَجْدَةِ رَفَعَتْ عَنَّا الْعَذَابَ⁵⁷.

من خلال ما سبق يتبين أن هذه المعجزة آية باهرة عجيبة تبهر العقول وتزدُّ المُكذِّبِ إِلَى التَّصْدِيقِ وَالشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ، فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ مِنْ قِبَلِهِ تَعَالَى عِلْمًا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمًا

مُضَافًا إِلَى سَائِرِ الْآيَاتِ، أَقْرُوا لَهُ بِالصِّدْقِ فِيمَا جَاءَ بِهِ وَأَظْهَرُوا التَّوْبَةَ وَأَعْطَوْا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا يَعُودُوا إِلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَأَنْ يَقُومُوا بِالتَّوْرَةِ فَكَانَ هَذَا عَهْدًا مُوثِقًا جَعَلُوهُ لِلَّهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.⁵⁸ ثم لم يلبث بنو اسرائيل إلا أن نكثوا عهدهم وميثاقهم مع الله عز وجل، ويحتمل أن سبب نقض العهد يرجع إلى إحدى أمرين هما:

أحدهما: أنهم لما عاينوا ذلك آمنوا به وقبلوا الكتاب، لكن ذلك منهم إيمان دفع؛ إذ ذلك قهر، ولا يكون في حال القهر إيمان.

والثاني: صير ذلك آية عظيمة وحجة واضحة مُعْجَزَةٌ، وقبلوها وحققوا الإيمان به، ثم تركوا ذلك،⁵⁹ ويدل على ذلك ما ذكر في سورة البقرة؛ حيث قال: **أَأْتُرُّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿٦٤﴾ البقرة: ٦٤

المبحث السابع: معجزة الإنعام

فمن الآيات والنعم التي امتن الله بها على بني اسرائيل، أن ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن السلوى، وكان ذلك مدة إقامتهم في بيدااء التيه، حين ابتلاههم الله تعالى بالتية بين الشام ومصر أربعين سنة؛ لمعادنتهم موسى عليه السلام حيث أمرهم بالدخول الى الأرض المقدسة (فلسطين) وقتال الجبارين فجبنا، وقالوا لموسى: **أَأِتَتْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ** ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَلِيلًا إِنَّا هَاهُنَا قَالِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفِرْعَوْنِ إِنَّهُ كَفَرًا وَسُوًّا أُنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ المائدة: ٢٢ - ٢٦

فلما فرض الله عليهم التيه في الصحراء أربعين سنة لم يكن لهم في التيه شيء يستترهم ولا يستظلون به من حر الشمس، فشكوا إلى موسى، فأرسل الله غماماً أبيضاً رقيقاً يستترهم من الشمس، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم الليل إذا لم يكن قمرًا⁶⁰، ثم شكوا إلى موسى عليه السلام حالهم فأنزل الله عليهم المن والسلوى⁶¹، **كَانَ الْمَنْ يُنْزَلُ عَلَيْهِمْ فِي الصَّبَاحِ، وَالسَّلْوَى تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَسَاءِ بِمِقْدَارِ مَا يَكْفِي جَمِيعَهُمْ لِيَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُنْزَلُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا ضِعْفُ الْكَمِيِّ لِأَنَّ فِي السَّبْتِ انْقِطَاعَ النَّزُولِ**.⁶²

فالله تبارك وتعالى قد رزقهم بهذا الرزق الطيب دونما تعب منهم، وهم بدلاً من أن يقابلوا هذه النعمة بالشكر قابلوها بالحدود. فرفضوا رزق السماء من المن والسلوى مع أنه كان رزقا عاليا. وطلبوا من موسى طعام الأرض الذي يزرعونه بأيديهم ويروونه أمامهم كل يوم فقد كانوا يخافون أن يستيقظوا يوما فلا يجدون المن والسلوى.⁶³ وقد ذكر الله لنا ذلك في قوله: **أَأِذَا قُلْتُمْ يُمُوسَىٰ لَنَ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ وَاحِدٍ قَادِعُ لَنَارِ رَبِّكَ**

يُخْرِجَ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَفَقَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبِدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ۗ الْبَقْرَةَ: ٦١.

المبحث الثامن: معجزة إنعام الله على بني إسرائيل بتفجير اثنتي عشر عينا بمجرد ضرب موسى -عليه السلام- الحجر بعصاه

ودليل هذه المعجزة من كتاب الله، قوله تعالى: **أَأَنْتُمْ مَسْئَلِي مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴿٦٠﴾ ۗ الْبَقْرَةَ: ٦٠

فإنه تعالى في بيان هذه المعجزة يقول لبني إسرائيل: **وَأذْكُرُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ فِي إِجَابَتِي لِنَبِيِّكُمْ** مُوسَىٰ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ اسْتَسْقَانِي لَكُمْ، وَتَيْسِيرِي لَكُمْ الْمَاءَ، وَإِخْرَاجَهُ لَكُمْ مِنْ حَجَرٍ يُحْمَلُ مَعَكُمْ، وَتَفْجِيرِي الْمَاءَ لَكُمْ مِنْهُ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ عَيْنًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِكُمْ عَيْنٌ قَدْ عَرَفُوهَا، فَكُلُوا مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ، وَاشْرَبُوا مِنْ هَذَا الْمَاءِ الَّذِي أَنْبَعْتُهُ لَكُمْ بِلَا سَعْيٍ مِنْكُمْ وَلَا كَدٍّ، وَاعْبُدُوا الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ ذَلِكَ. **أَوَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴿٦٠﴾ الْبَقْرَةَ: ٦٠، وَلَا تَقَابِلُوا النِّعَمَ بِالْعِصْيَانِ فَتُسَلَّبُوهَا. ⁶⁴

يقول الإمام القرطبي: **لَمَّا اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ أَمَرَ أَنْ يُضْرِبَ عِنْدَ اسْتِسْقَائِهِ بِعِصَاهُ حَجْرًا قِيلَ: مُرَبِّعًا طُورِيًا (مِنَ الطُّورِ) عَلَىٰ قَدْرِ رَأْسِ الشَّاةِ، يُقْلَىٰ فِي كَسْرِ جُوَالِقٍ وَيُرْحَلُ بِهِ، فَإِذَا نَزَلُوا وَضِعَ فِي وَسْطِ مَحَلَّتِهِمْ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَحْمِلُونَ الْحَجَرَ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَجِدُونَهُ فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ فِي مَنْزِلَتِهِ مِنَ الْمَرْحَلَةِ الْأُولَىٰ وَهَذَا أَعْظَمُ فِي الْآيَةِ وَالْإِعْجَازِ.** ⁶⁵

وهذه المعجزة مِنَ الْإِنْعَامَاتِ الَّتِي أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ جَامِعٌ لِنِعَمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلِأَنَّهُ تَعَالَىٰ أَزَالَ عَنْهُمْ الْحَاجَةَ الشَّدِيدَةَ إِلَىٰ الْمَاءِ وَلَوْلَاهُ لَهَلَكُوا فِي النَّيِّهِ، كَمَا لَوْلَا أَنْزَالُهُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ لَهَلَكُوا؛ بَلِ الْإِنْعَامُ بِالْمَاءِ فِي النَّيِّهِ أَعْظَمُ مِنَ الْإِنْعَامِ بِالْمَاءِ الْمُعْتَادِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ إِلَىٰ الْمَاءِ فِي الْمَفَازَةِ وَقَدْ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الرَّجَاءِ لِكُونِهِ فِي مَكَانٍ لَا مَاءَ فِيهِ وَلَا نَبَاتٍ، فَإِذَا رَزَقَهُ اللَّهُ الْمَاءَ مِنْ حَجَرٍ ضُرِبَ بِالْعِصَا فَاَنْشَقَّ وَاسْتَسْقَىٰ مِنْهُ، عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ لَا يَكَادُ يَغْدُلُهَا شَيْءٌ مِنَ النِّعَمِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ مِنْ نِعَمِ الدِّينِ فَلِأَنَّهُ مِنْ أَظْهَرِ الدَّلَائِلِ عَلَىٰ وُجُودِ الصَّانِعِ وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، وَمِنْ أَصْدَقِ الدَّلَائِلِ عَلَىٰ صِدْقِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ⁶⁶

وهذه المعجزة جَمَعَتْ ثَلَاثَ نِعَمٍ وَهِيَ:

- 1- الرِّيُّ مِنَ الْعَطَشِ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ كُبْرَىٰ أَشَدُّ مِنْ نِعْمَةِ إِعْطَاءِ الطَّعَامِ. وَلِذَلِكَ شَاعَ التَّمَثِيلُ بِرِيِّ الظَّمَانِ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ.
- 2- كَوْنُ السَّقْيِ فِي مَظْنَةِ عَدَمِ تَحْصِيلِهِ وَتِلْكَ مُعْجَزَةٌ لِمُوسَىٰ وَكَرَامَةٌ لِأُمَّتِهِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ فَضْلًا لَهُمْ.
- 3- كَوْنُ الْعُيُونِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْسَنَقِلَ كُلِّ سِبْطٍ بِمَشْرَبٍ فَلَا يَتَدَافَعُوا. ⁶⁷

المبحث التاسع: معجزة إحياء قتيل بني إسرائيل

رُويَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَائِرِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلَ قَرِيبًا لِكَيْ يَرْتَهُ ثُمَّ رَمَاهُ فِي

مَجَمَعَ الطَّرِيقِ ثُمَّ شَكَا ذَلِكَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاجْتَهَدَ مُوسَى فِي تَعْرِفِ الْقَاتِلِ، فَلَمَّا لَمْ يَظْهَرْ قَالُوا لَهُ: سَلْ لَنَا رَبَّكَ حَتَّى يُبَيِّنَهُ، فَسَأَلَهُ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً فَتَعْجَبُوا مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: أَأَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ البقرة: ٦٧، ثُمَّ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْإِسْتِفْهَامِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَاسْتَقْصَوْا فِي طَلَبِ الْوَصْفِ فَلَمَّا تَعَيَّنَتْ لَمْ يَجِدُوهَا بِذَلِكَ النَّعْتِ إِلَّا إِلَّا عِنْدَ عَجُوزٍ عِنْدَهَا بَيْتَامَى، وَهِيَ الْقِيَمَةُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُمْ لَا يَزْكُوا لَهُمْ غَيْرَهَا أَضْعَفَتْ عَلَيْهِمُ الثَّمَنَ، فَأَتَوْا مُوسَى، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا هَذَا النَّعْتِ إِلَّا عِنْدَ فُلَانَةٍ، وَأَنَّهَا سَأَلَتْهُمْ أَضْعَافَ ثَمَنِهَا، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَانَ خَفَّفَ عَلَيْكُمْ، فَشَدَّدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَأَعْطَوْهَا رِضَاهَا وَحُكْمَهَا. فَفَعَلُوا وَاشْتَرَوْهَا، فَذَبَحُوهَا. فَأَمَرَهُمْ مُوسَى أَنْ يَأْخُذُوا عَظْمًا مِنْهَا فَيَضْرِبُوا بِهِ الْقَتِيلَ، فَفَعَلُوا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ رُوحُهُ، فَسَمَّى لَهُمْ قَاتِلَهُ، ثُمَّ عَادَ مَيِّتًا كَمَا كَانَ. فَأَخَذُوا قَاتِلَهُ وَهُوَ الَّذِي كَانَ أَتَى مُوسَى فَشَكَى إِلَيْهِ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْوَأِ عَمَلِهِ⁶⁸

قَالَ الْمَاوَرِدِيُّ: وَإِنَّمَا أُمِرُوا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - بِذَبْحِ بَقْرَةٍ دُونَ غَيْرِهَا، لِأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ مَا عَبَدُوهُ مِنَ الْعِجْلِ لِيُهَوَّنَ عِنْدَهُمْ مَا كَانَ يَرَوْنَهُ مِنْ تَعْظِيمِهِ، وَلِيَعْلَمَ بِإِجَابَتِهِمْ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ عِبَادَتِهِ. وَهَذَا الْمَعْنَى عَلَّةٌ فِي ذَبْحِ الْبَقْرَةِ، وَلَيْسَ بَعْلَةٌ فِي جَوَابِ السَّائِلِ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى فِيهِ أَنْ يَحْيَا الْقَتِيلُ بِقَتْلِ حَيٍّ، فَيَكُونُ أَظْهَرَ لِقُدْرَتِهِ فِي اخْتِرَاعِ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَدْدَاهَا.⁶⁹

وَكَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَمُعْجَزَةً مِنْ مُعْجَزَاتِ رَسُولِ اللَّهِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَيَّنَّهَا اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا وَلِذَلِكَ خُتِمَتْ بِقَوْلِهِ: وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، مِمَّا سَبَقَ يَظْهَرُ مَا يَلِي:

1- أَنْ هَذِهِ الْمَعْجَزَةُ بَيَّنَّتْ لَنَا مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ: قُدْرَتُهُ تَعَالَى عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَحْيَا مَيِّتًا بِجِزءٍ مِنْ مَيِّتٍ، وَأَرَادَ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْمَعْجَزَةِ أَنْ يُعْطِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ دَرْسًا وَهُمْ الْمَادِيُونَ: أَأَفَقَلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ البقرة: ٧٣، لِيُفْهَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِأَنَّه إِذَا عَايَنُوا إِحْيَاءَ الْمَيِّتِ، فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ.

2- كَانَ الْأَمْرُ بِذَبْحِ الْبَقْرَةِ دُونَ غَيْرِهَا، لِأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ مَا عَبَدُوهُ مِنَ الْعِجْلِ لِيُهَوَّنَ عِنْدَهُمْ مَا كَانَ يَرَوْنَهُ مِنْ تَعْظِيمِهِ.

3- أَنْ يَوْمَ الْبَعْثِ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَأَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

بعد النظر في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله، وكتب أهل العلم، انتهينا بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث، وقد بُذِلَ فِيهِ جُهْدًا وَطَاقَةً، وَكَانَتْ الْإِسْتِفَادَةُ مِنْهُ جَمَّةً، وَتَمَّ التَّوَصُّلُ بِهِ إِلَى النَّتَائِجِ الْآتِيَةِ:

1- لقد أفرط فرعون لعنه الله في استكباره وجحوده رسالة موسى، ومما يشهد عليه بذلك أنه قد رأى الكثير من الآيات، وهي لم تكن جملة واحدة، بل كانت متفرقة على فترات زمنية، وتوالي الآيات مرّة بعد مرّة، أبلغ في الإعجاز من نزولها مرة واحدة، فقد رأى آيتي العصا واليد في أول مواجهة له مع موسى عندما بلغه رسالته، والتي كان من توابعها الانتصار على السحرة، وبعدها كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ولكن فرعون بقي على استكباره، وأصر أنه الإله الأوحد، وهذا يدل على أن كفر فرعون كفر عناد واستكبار، فكلما رأى آية من الآيات الواضحات، يعد موسى وهارون أن يطلق بني إسرائيل، وبعد أن يكشف الله العذاب الذي سلطه عليه وعلى قومه، يعود فرعون إلى استكباره وجحوده ونكث العهود.

2- إيمان السحرة برب موسى وهارون -عليه السلام-، دليل واضح على أن ما جاء به موسى عليه السلام من معجزات بيّنة وآيات باهرة، لم يكن من قبيل السحر؛ بل هو الحق من ربهم.

3- أن من سنن الله عز وجل في عباده، سوق الظالمين إلى مهالكهم، وهي سنة في الظالمين ثابتة لا تتغير ولا تتخلف، لذلك لما ظلم فرعون وطغى في الأرض، وعاند وتمرد على رسول الله، وزعم أنه إله، ساقه الله إلى حتفه، فكان مصيره ومصير أتباعه الغرق.

4- أن الاعتصام بالله سبيل النجاة، ودليل ذلك أن بني إسرائيل لما اشتد بهم البلاء قالوا لموسى عليه السلام: **أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَكُمْ كَيْفَ تَحْمَلُونَ** (الأعراف: ١٢٩)، فكان الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر والرخاء بعد البلاء والأمن بعد الخوف. وهذا من سنة الله عز وجل في خلقه، فنجاهم الله من عدوهم وجوّزهم البحر مع نبيهم موسى عليه السلام.

5- أن من صفات بنو إسرائيل، الجهل، والميل إلى الشرك، والعصيان لأمر الله ولأمر رسول الله موسى -عليه السلام-، فهم شعبٌ عاش في العبودية، والذل والوثنية سنوات مديدة، ففسدت عقائدهم وخبثت نفوسهم، وضعفت همتهم وظهر جهلهم و عنادهم وتخاذلهم، ومن المواقف التي تبين جهلهم وعنادهم وتخاذلهم وعصيانهم لأمر الله ولأمر رسولهم موسى عليه السلام، أنهم لما جاوزوا البحر ونجاهم الله على يد كلميه ونبيه موسى عليه السلام فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: **أَأَقَالُوا لِيُمُوسَىٰ أَجْعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (الأعراف: ١٣٨)

وعلى الرغم من كثرة المعجزات والآيات من الله تعالى لقوم موسى إلا أنهم أظهروا العناد والمكابرة والتعنّت وعدم الإيمان لموسى عليه السلام.

وأخيراً، نحمد الله ونشكره، أن أعاننا على إتمام هذا البحث، وإخراجه بهذه الصّورة التي نرجو أن نكون قد وفقنا في عرضه، وبيان أهم جوانبه على الوجه المطلوب.

الهوامش

- 1- انظر، تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)
- المحقق: سامي بن محمد سلامة، (5/275-276)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م
- 2- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (16/202) دار الفكر المعاصر - دمشق
الطبعة 2 ، 1418 هـ.
- 3- مرجع سابق: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (3/454)
- 4- مفاتيح الغيب: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ) (14، 325) دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1420، 3 هـ.
- 5- مرجع سابق، التحرير والتنوير، (9/38).
- 6- انظر، مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (3/454).
- 7- مفاتيح الغيب ، الرازي (14/325-326)
- 8- المرجع نفسه، (14/326)
- 9- انظر: مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (3/454)
- 10- انظر: مرجع سابق، التحرير والتنوير (9/40)
- 11- قصص الأنبياء: الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: 774هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد
(2/43)، مطبعة دار التأليف - القاهرة، ط1، 1388 هـ - 1968 م .
- 12- العقيدة الإسلامية وأسسها، الميداني: عبدالرحمن حبنكه، ص346، دار القلم-دمشق-بيروت، ط2، 1979م.
- 13- انظر، مرجع سابق، قصص الأنبياء، (2/69).
- 14- مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي، (22/27).
- 15- مرجع سابق، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص347.
- 16- مرجع سابق: قصص الأنبياء، (2/70-71).
- 17- مرجع سابق، لسان العرب ، ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت - ط3، 1414 هـ
- 18- الموسوعة العقدية: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، 4/46، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net..
- 19- شرح فتح المجيد: عبد الله بن محمد الغنيمان: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية 11/17، http://www.islamweb.net، [ورقم الجزء هو رقم الدرس - 142 درساً]
- 20- انظر، مرجع سابق، جامع البيان، الطبري (10/374)

- 21- مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي (14 / 343)
- 22- مرجع سابق: التحرير والتنوير (9 / 63)
- 23 - مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (3 / 460)
- 24-انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (30/3)، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط1 - 1418 هـ، فتح القدير للشوكاني (2 / 270)
- 25- مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي (14 / 344).
- 26- مرجع سابق، فتح القدير للشوكاني (2 / 270).
- 27- مرجع سابق، التحرير والتنوير (9 / 66)
- 28 - مرجع سابق، لسان العرب (9/227)
- 29- مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (3 / 461)، وانظر: مرجع سابق: جامع البيان، للطبري، (10/378-381).
- 30- انظر: مرجع سابق: جامع البيان، للطبري، (10/381).
- 31-انظر: مرجع سابق، مفاتيح الغيب، للرازي (14 / 346).
- 32- انظر: مرجع سابق، تفسير الشعراوي (، 7 / 4319). انظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، (1/598). دار الكلم الطيب، بيروت، ط1 ، 1419 هـ - 1998 م. انظر: مرجع سابق: مفاتيح الغيب، الرازي (14 / 345). انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، (ت: 741هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، (2 / 240)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 - 1415 هـ .
- 33- مرجع سابق: فتح القدير للشوكاني (2 / 271)
- 34- مرجع سابق، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (2 / 240).
- 35- مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي، (14/346)
- 36- مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي (14 / 346)
- 37- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: 538هـ)، (2/147)
- دار الكتاب العربي - بيروت - ط3، 1407 هـ
- 38- مرجع سابق، التحرير والتنوير (9 / 70)
- 39- مرجع سابق، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (2 / 240).
- 40- انظر: مرجع سابق، انظر: تفسير الزمخشري (2 / 147)، رائب القرآن وרגائب الفرقان، النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت : 850 هـ) ، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية -

- بيروت، ط1، - 1416 هـ (308/3)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن(2/ 240).
- 41-انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت : 510هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، (2/225)، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط1 ، 1420 هـ . ، تفسير الخازن 2/ 241 ، انظر: تفسير القرطبي (7 / 271).
- 42- التفسير القرآني للقرآن، الخطيب: عبد الكريم يونس (ت: بعد 1390هـ)، (467/5) دار الفكر العربي - القاهرة.(د.ط، د.ت)
- 43- مرجع سابق، مفاتيح الغيب ، الرازي (14 / 347)
- 44- مرجع سابق، جامع البيان في تأويل القرآن، 100/13.
- 45-مرجع سابق، جامع البيان في تأويل القرآن، 100/13.وانظر: صفوة التفاسير ،الصابوني: محمد علي، (2/ 350) دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط1، 1417 هـ - 1997 م . ،
- 46-مرجع سابق: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 6/143.
- 47-انظر: مرجع سابق، صفوة التفاسير ، (2 / 351).
- 48-انظر: أوضح التفاسير، الخطيب: محمد محمد عبد اللطيف (ت: 1402هـ)، (1 / 448)، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، رمضان 1383 هـ - فبراير 1964 م ، مرجع سابق، العقيدة الإسلامية وأسسها، 350، مرجع سابق، فتح القدير (2/533-534).
- 49- مرجع سابق، تأويلات أهل السنة، الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، (8 / 60)، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005 م .
- 50- انظر: مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي (3/511).
- ذكر المفسرون: أن موسى وعدّ بني إسرائيل بمصرَ أن يأتيهم بعدَ مهلكِ فرعونَ بكتابٍ من عندِ الله فيه بيانٌ ما يأتيون ويَدْرُونَ، فلما هلكَ، سألَ ربُّه الكتابَ، فأمره الله أن يصومَ ثلاثينَ يوماً، فلما تَمَّتْ، أنكرَ خُلُوفَ فَمِهِ، فاستأكَ بعودَ حَرْوَبٍ، فقالت له الملائكة: كنا نشمُّ من فيك رائحةَ المسكِ فأفسدَتْهُ بالسَّوْكِ، وأوحى الله إليه: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدِي أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ؟" فَأَمَرَ بِصِيَامِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ مِنْ أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ التَّوْرَةَ فِي الْعَشْرِ، وكَلَّمَهُ فِيهَا، فكانتْ فَتَنَتْهُمُ فِي الْعَشْرِ الَّتِي زَادَهَا. انظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن (30 / 3)
- 51- مرجع سابق، جامع البيان، الطبري (1 / 679).
- 52- مرجع سابق، جامع البيان، الطبري (1 / 679).
- 53-انظر، مرجع سابق، قصص الأنبياء (2/ 124).
- 54- مرجع سابق، صفوة التفاسير (1 / 51)
- 55- اللباب في علوم الكتاب، النعماني: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت: 775هـ)
- المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (2/86)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998م. وانظر: مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي، (3/519).

- 56- تأويلات أهل السنة، الماتريدي (80 /5)
- 57- مرجع سابق، قصص الأنبياء (2 /135)، مرجع سابق، للباب في علوم الكتاب (9 /376-377)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1 /287-288)
- 58- انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (3 /537-538)
- 59- انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (80 /5)
- 60- انظر مرجع سابق، لباب التأويل في معاني التنزيل (1 /47)
- 61- وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْمَنَّانَ: التَّرْتَجِبِينَ، وَهُوَ شَيْءٌ يُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ كَنُزُولِ النَّدى ثُمَّ يَنْجَمَدُ، وَهُوَ يُشْبِهُ الْعَسَلَ الْأَبْيَضَ. وَالسَّلْوَى: طَائِرٌ يُشْبِهُ السَّمَانَى. وَقِيلَ هُوَ السَّمَانَى. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت: 1393هـ)، (4 /74)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م
- 62- انظر: مرجع سابق، التحرير والتتوير (1 /509)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية (1/264)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ.
- 63- مرجع سابق، تفسير الشعراوي، (1/350-352)
- 64- مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/278)
- 65- تفسير القرطبي (1/420)
- 66- مرجع سابق، مفاتيح الغيب ، (3 /528)
- 67- مرجع سابق، التحرير والتتوير (1 /517)
- 68- انظر: مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي(3 /543-544)، مرجع سابق، جامع البيان (2 /77-78).
- 78.مرجع سابق تفسير القرطبي (1 /446)
- 69- تفسير القرطبي (1 /445).